النكات

على كتاب التوحيد

المسمى

قرة عيون الموحدين

الحمد لله المؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} وإيمان الذين أوتوا العلم: بتمسكهم بمحكماته ورد المتشابه إليها وعدم إشتغال القلب بغيرها.

وهذا "المنهج العلمي" الذي بينه ربنا ليس مقصورا على نصوص الوحي والنظر فيها، بل هو في التعامل مع كلام أهل العلم ومصنفاتهم كذلك لأنها فرع عن نصوص الوحي فالسبيل فيها واحد، قال الإمام الشافعي [كل ما قالته الأمة راجع إلى السنة، وكل ما في السنة راجع إلى الكتاب العزيز، وكل مافي الكتاب العزيز راجع إلى أسماء الله الحسنى]! "البرهان للزركشي".

فمصنفات العلماء في كل فن منها كتب محكمات هي أم الفن وما سواها تبع لها في فلكها يدور وعليها يبني يعضد حجتها ويتمم فوائدها، فالعاقل من أخذ لنفسه في كل فن أصلا محكما يدمن النظر فيه ويطيل صحبته، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل [أي العمل أحب إلى الله؟ قال (الحال المرتحل)، قيل: وما الحال المرتحل؟ قال صاحب القرآن يصرب في أوله حتى يبلغ آخره وفي آخره حتى يبلغ أوله](١) كلما ختمه مرة شرع في الأخرى ليزداد بذلك عمقا ورسوخا فإن إدمان النظر مورث للحكمة، قال المزني [قرأت كتاب "الرسالة" للشافعي خمسمئة مرة، ما من مرة إلا وإستفدت فائدة جديدة لم أستفدها في الاخرى] "مناقب الشافعي لإبن حجر: 150"، وقال [أنا أنظر في كتاب "الرسالة" منذ خمسين سنة ما أعلم اني نظرت فيه مرة إلا وأنا أستفيد شيئا لم أكن أعرفه] "طبقات الشافعية: 2/99"، وكان عبدالله بن محمد الأندلسي يختم كتاب سيبويه في كل خمسة عشر يوما "إنباء الرواة: 2/127"، ويقول استاذ البلاغة في عصرنا محمد أبو موسى [لا تسألني كم مرة قرأت كتاب الجرجاني -دلائل الإعجاز-، بل إسألني كم نسخة تلفت بين يدي منه]، وفي "المشوق للقراءة وطلب العلم" للشيخ علي العمران أخبار جليلة في هذا الباب.

(1) ولذلك إستحب العلماء لقارئ القرآن إذا بلغ آخره ان لا يغلق مصحفه حتى يرجع إلى أوله فيقرأ الفاتحة وأوائل البقرة مفتتحا ختمة جديده ثم يغلق مصحفه ويدعو دعاء الختمة فإنه موطن إجابة.

ولا شك أن أجلّ كتاب صنف في (توحيد الألوهية) هو [كتاب التوحيد] للإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، فقد بالغ الشيخ رحمه الله في تحرير مسائله وضبط حدود أبوابه وضم النظائر وبيان الفروق، كل ذلك مع قرب المأخذ وحسن الإبانة عن المقصد وإيجاز اللفظ، و من وقف مع هذا الكتاب وقوف قلب علم أنه محض كرامة إلهية ومنة ربانية إختص الله بها هذا الإمام سبق بها المتأخرين ولحق بالأئمة السالفين وجدد الله به الدين جزاءا له لقيامه في الناس بالتوحيد وصبره على الأذى فيه :

أغاظ إبليس تخطافا لعسكره

وخلّف الشرك قد ناحت ثواكله

فذاك "عزى" طريدا بعد عزته

وذا "إساف" تشق الجيب "نائلُه"

وكتاب التوحيد هو زبدة علم الشيخ وخلاصة باب توحيد الألوهية الجامع لأصول مسائله ومقاصد أبوابه! ، فحري بالعاقل الذي يقرأ الكتاب أن يوفيه حقه بإنعام النظر فيه وإطالة الفكرة في سياق نصوصه وترتيب أبوابه، خاصة وأن [كتاب التوحيد] كان للإمام محمد كتاب عمره الذي أوقف نفسه له جمعا وترتيبا وإقراءا وتدريسا فجاء: محكما على إختصاره عميقا على سهولته منضبطا على وضوحه كأنه سبيكة ذهب قال الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ [وقد تتبع العلماء مصنفاته من أهل زمانه وغيرهم فأعجزهم أن يجدوا فيها ما يعاب] "عيون الرسائل: 2/149".

و الكتب المحكمة التي يفني الأئمة أعمارهم في تصنيفها وتحريرها وضبط أبوابها هي "أمهات الكتب" في كل فن، التي يجب على طالب العلم إن أراد الرسوخ ملازمتها وإدمان النظر فيها وإتخاذها أصولا في فنونها، فلا تعامل هذه الكتب معاملة غيرها من مصنفات أهل العلم، وإلى ذلك أشار الإمام مالك حين قال لمن قرأ عليه كتاب الموطأ في أربعين يوما [كتاب ألفته في أربعين سنة، أخذتموه في أربعين يوم، ما أقل ما تفقهون فيه!].

هذا وليعلم الدارس لكتب الأئمة أن أعظم ما ينبغي أن يوليه عنايته هو "مرادات مصنفيها" فيجعلها مقصوده الأول بالخدمة : يعضد حجتها، ويكمل نقصها، ويتمم فوائدها؛ فتكون مقاصد الإمام هي الأصل الذي يبني عليه دراسته للكتاب وما زاد على ذلك فهو فضله إن وجدت فخير وإن فاتت لم تضر، فلا يشتغل بها حتى تلهي عن المقصود بالذات، ولا يركب مقاصده هو على مؤلفات الأئمة بما يخل بها، وليستقل بالتأليف إن أراد ذلك ولا يجعل مصنفات الأئمة سلما له.

وعليه بعد طول الفكرة وتكرار النظر بدا لي أن أقسم أبواب كتاب التوحيد بما يجلي مقاصدها على النحو التالي :

- **تأصيل التوحيد :-**

١- مقدمة في وجوب التوحيد.

٢- مرتبة الإحسان: أقل الكمال في التوحيد.

٣- مرتبة الإحسان: أعلى الكمال في التوحيد.

٤- مرتبة الإيمان وما يخل بها : الشرك بالله.

٥- مرتبة الإيمان وما يخل بها: أهل الشرك.

٦- مرتبة الإسلام: أصل التوحيد.

- **شرك التسبب {إياك نستعين} :-**

١- الأسباب الباطلة (التمائم).

٢- الأسباب الصحيحة (التداوي).

٣- الأسباب المشتركة (التبرك).

- ## شرك النسك {إياك نعبد} :-

أولا/ العبادات العملية :

١- الشرك الأكبر: الذبح لغير الله.

٢- الشرك الأصغر: التشبه بالمشركين في أمور دينهم.

ثانيا/ العبادات القولية :

١- دعاء الشكر والتعظيم (النذر).

٢- دعاء دفع الضر (الإستعاذة).

٣- دعاء جلب النفع (الإستغاثة).

فصل (1)/ تجريد التوحيد :

١- قطع التعلق بالإنس.

٢- قطع التعلق بغير الإنس.

٣- قطع التعلق بهم في أمور الآخرة (الشفاعة) .

٤- قطع التعلق بهم في أمور الدنيا (الهداية).

فصل (2)/ ذرائع الشرك "الغلو" :

1- الغلو في الأشخاص

2- الغلو في الأماكن

3- كون الغلو أعظم أسباب للشرك

4- إحتياط النبي صلى الله عليه وسلم لأمته في ذلك.

5- هلاك طوائف من هذه الأمة به.

فصل (3)/ الأقوال المشتركة بين "التعبد" و "التسبب" :

1- السحر الشيطاني.

2- العلوم الحدسية.

3- العلوم الحدسية الباطلة (الكهانة ونحوها).

4- العلوم الحدسية المحرمة (النشرة).

5- التعلق بالأسباب الحدسية الصحيحة أو الباطلة (الفأل والتطير).

6- أحوال الناس مع الأسباب الحدسية (التنجيم).

7- شرك الأسباب الحدسية.

ثالثا/ العبادات القلبية :-

1- الحب التعبدي.

2- الخوف التعبدي.

3- التوكل.

4- الخوف والرجاء.

5- الصبر.

6- الرياء.

7- إرادة الدنيا.

فصل (1)/ شرك التحاكم :

1- الشرك الأكبر: التحاكم الديني لغير الله.

2- الشرك الأصغر: التحاكم الدنيوي لغير الله.

فصل (2)/ سوء الأدب مع الله :

1- من جحد شيئا من الأسماء والصفات.

2- قول الله تعالى: {يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون }.

3- قول الله تعالى: {فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون}.

4- ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله.

5- قول: ما شاء الله وشئت.

6- باب: من سب الدهر فقد آذى الله.

7- باب: التسمي بقاضي القضاة ونحوه.

8- باب: احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك.

9- باب: من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول.

10- باب: قول الله تعالى { ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي }.

11- باب: قول الله تعالى { فلما أتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون }.

12- باب: قول الله تعالى {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه} .

13- باب: لا يقال "السلام على الله".

14- باب: قول "اللهم اغفر لي إن شئت".

15- باب: لا يقول "عبدي وأمتي".

16- باب: لا يرد من سأل بالله.

17- باب: لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة.

18- باب: ما جاء في الـ"لو".

19- باب: النهي عن سب الريح.

20- باب: قول الله تعالى {يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء} .

٢١- باب: ما جاء في منكر القدر.

22- باب: ما جاء في المصورين.

23- باب: ما جاء في كثرة الحلف.

24- باب: ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه.

25- باب: ما جاء في الإقسام على الله.

26- باب: لا يستشفع بالله على خلقه.

27- باب: ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسده طرق الشرك.

فصل (3)/ تعظيم الله الذي هو خلاصة التوحيد :

1- باب ما جاء في قوله تعالى {وما قدروا الله حق قدره}.

فائدة: كان من هدي الأئمة الماضين إفتتاح مصنفاتهم -الفقهية والحديثية- بأبواب في الإعتقاد ليستوفوا بذلك أركان الإسلام الخمسة فيما يكتبون، وقد كان كتاب "الموطأ" للإمام مالك رحمه الله في مصنفات المتقدمين كالعروس بين وصيفاتها، غير أن هذه العروس لم تكتمل زينتها بأبواب الإعتقاد خلا إشارات يسيرة بوب لها الإمام مالك في آخر الكتاب، حتى قيض الله الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله -الذي هو اشبه الناس عقلا بالإمام مالك- وفتح عليه بـ"كتاب التوحيد" فكان تاج العروس، فكتاب التوحيد هو صنو موطأ مالك وقسيمه الذي به تمت زينته وإكتمل نوره وإستغنى به عما سواه خاطبه، فحري بالعاقل الناصح لنفسه أن يتخذ هاذين الكتابين عينان يبصر بهما طريق الهدى ويسلك فيه فإنهما أحكم الكتب بعد كتاب الله قال الإمام الشافعي [ما على وجه الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك].

وليس المراد بالصحة هنا مجرد صحة الأسانيد كما قد يُتوهم، بل كون هاذين الكتابين: جمعا الأصول المحكمات اتي كان عليها سلف الأمة في القرون الأول، وكون نصوصهما ظاهرة يزول معها الإشكال وتنضبط المسائل وإن كان غيرها ربما كان أصح إسنادا منها؛ فالعبرة بـ"الإحكام" لا مجرد صحة الإسناد قال تعالى {(اهدنا الصراط المستقيم) (صراط الذين أنعمت عليهم)} فجمع بين "الصحة" و "الإحكام".

فالعاقل من وقف من هذه النصوص التي إنتقاها الأئمة لمصنفاتهم ليسأل سؤال الحكيم المسترشد (لماذا قدم الإمام هذا النص على غيره؟) لا سؤال المغرور المعترض (كيف قدمه وغيره أصح منه؟) فإن أئمتنا رضي الله عنهم كانوا أعلم بما في أسانيد هذه المتون ولم يروا ذلك مؤخرا لها ومقدما لغيرها عليها وذلك لكما عقولهم ودقة أنظارهم وعظيم فقههم -الذي يقر به المعترض عليهم!-، قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله [قف حيث وقف القوم؛ فإنهم عن علم وقفوا، وببصرٍ نافذٍ كفوا، وهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى].

فالفقه كل الفقه في تدبر: إنتقاء الأئمة للنصوص، وكشفهم عن السياق الذي يوضع كل واحد منها فيه، وبيانهم للحد الذي لا ينبغي تجاوزها به، ثم سبكهم ذلك كله داخل منظومة علمية رصينة متكاملة تلم شتات المسائل وتبدي محاسن الأبواب؛ فإن هذه هي الصنعة العلمية والفقه الحقيقي.

فإن العلم ليس هو محض الجمع والتصفيف، وإلا فإن هذه النصوص مبذولة لكل أحد منثورة في كل كتاب ولكن ليس كل أحد له عقل الإمام مالك أو الإمام محمد بن عبدالوهاب ليحسن إنتقائها ونظمها وقديما قيل [إختيار الرجل قطعة من عقله].

فإختيار النص دون غيره، وإختيار موضعه الذي يساق فيه، وإختيار التبويب الذي يبوب عليه، والمسائل التي تستخرج منه بما يحكم نظام الكتاب؛ هذه هي حقيقة العلم لا مجرد معرفة معاني الألفاظ ظاهرا دون العلم بمنزلة كل واحد منها بين غيره من النصوص وحدوده التي يبدأ عندها وينتهي، ولذا قال الإمام محمد في مسائل الباب الثاني عشر متحدثا بنعمة الله عليه [الثالثة عشرة/ معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة/ وهي أعجب العجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث مع معرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم].

[قفو الحادي]

حدا العيس حاديها فأعجل ركبها

ولم يُبقِ منها غير خط على الرمل

وقد خلفوا قلبي ييمم وجهه

إليهم يقص الأرض حاف على عجل

فيا بُعد هاتيك الديار وأهلها

ويا شقو عاشق بات منهم على وجْل

خليلي إن لم تبكيا فإستبكيا

فلا خير في سحب إذا لم تكن هُملِ

ولا خير في عين تكفكف دمعها

ولم يتقِ من سيلها صارخ النمل

سأبكيهمُ حتى أجفف ضرعها

ويُلقى قميص العلم عن أبيض المُقَلِ

وأقفو هداهم لعمر أبيك إنه الهدى

وأجني كتبا خطها راجح العقل

قراطيس يغني ما حوته من الهدى

عن الشمس والنجم اليماني ذا السهل

كأنها قطعة من جنة نزلت

أقامها الله آي الحق للمقل

فليت شعري أجن الناس أم عميت

منهم قلوب فهم عن فضلها غُفل

فذا موطأ مالك قد حوى دررا

لما عليه هدى الأصحاب والعمل

وذا لملة إبراهيم قد علموا

أن الإله لأجلها أوجد الثقل

فكيف ساوى ذوي الأنظار بينهما

وبين كتب على الأخطاء لم تزل

فإشدد يديك عليها إنها سبب

بيد الخلائق تعصمهم من الزلل

وإجأر إلى الله يوم الحشر يجمعنا

بصاحبيها بفضل منه ذو الفضل

القسم الأول

أبواب تأصيل التوحيد

1- **مقدمة في وجوب التوحيد.**
2- **[باب/ فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب].**
3- **[باب/ من حقق التوحيد دخل الحنة بغير حساب].**
4- **[باب/ الخوف من الشرك].**
5- **[باب/ الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله].**
6- **[باب/ تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله].**

قاعدة: قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في رساله "ثلاثه الاصول" [الأصل الثاني/ معرفة دين الإسلام بالادلة: وهو الإستلام لله بالتوحيد والإنقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، وهو ثلاث مراتب: (الإسلام) و (الإيمان) و (الإحسان) وكل مرتبة لها أركانها] فكل باب من أبواب الدين للناس فيه مراتب ثلاثة ومن ذلك "التوحيد" فإنه منه ما هو: اصل الدين (الإسلام)، ومنه ما هو فوق ذلك (الإيمان)، ومنه درجة الكمال (الإحسان).

وقد عقد الإمام محمد في هذا القسم من كتابه لكل مرتبة من هذه المراتب أبوابا تكشف عن حدودها وتبين أركانها على النحو التالي :

- مقدمة في وجوب التوحيد.
- ثم بابان في مرتبة (الإحسان) : أقل الكمال فيه، وأعلى الكمال؛ لقوله عليه الصلاة والسلام [ان تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك] فجعل الإحسان مرتبتين.
- ثم بابان في مرتبة (الإيمان) : وما يخل بأصلها وكمالها.
- ثم الباب الأخير في مرتبة (الإسلام) : التي هي أقل الواجب الذي به ينجو العبد عند ربه.

فمن ضبط مراتب التوحيد الثلاثة إنضبطت له مسائل هذا العلم كله وإستبان له مرتبة كل واحدة منها.

[مقدمة في وجوب التوحيد]

بنية الباب:

ذكر المصنف في هذه المقدمة أربعة أوجه تدل على وجوب التوحيد :-

- **الوجه الأول/** أن التوحيد هو المقصود من الخلق.
- **الوجه الثاني/** أن التوحيد هو الحكمة من إرسال الرسل.
- **الوجه الثالث/** أن التوحيد هو: أول الأوامر، وأعظم الواجبات، وأهم الوصايا؛ ولذلك قدم ربنا عز وجل ذكره في كل من : سورة "الإسراء" المشتملة على عشرة أوامر، و "النساء" المشتملة على عشرة حقوق، و "الأنعام" المشتملة على عشرة وصايا.
- **الوجه الرابع/** أنه حق الله على العباد.

نكتة/ [لا إله إلا الله] :-

إعلم رحمك الله أن لفظة (إله) تدور في لسان العرب على معاني سبعة :

1- المعبود: وهو أظهر معانيها، فالتأله بمعنى التعبد ومنه قراءة إبن عباس {ويذرك وإلهتك}.
2- التأله بمعنى التحير: فـ"الإله" هو الذي تتحير القلوب والعقول في عظمته قال تعالى {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}.
3- اللجوء: فيقال ألِه إلى كذا إذا لجأ إليه، فالإله من تلجأ إله كل الخلائق وهو الغني الحميد قال تعالى {الله الصمد}.
4- الإحتجاب: من لاه يلوه إذا إحتجب، والإله هو المحتجب عن خلقه قال تعالى {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار}.
5- السكون: فيقال ألِه إلى فلان إذا سكن إليه، قال تعالى {ألا بذكر الله تطمئن القلوب}.
6- الإرتفاع: فيقال ألِه إذا علا و إرتفع قال تعالى {الرحمن على العرش إستوى} أي علا فوقه وجلس كما يليق بجلاله.
7- المحبة: من الوله وهو شدة الحب والشوق وإتجاه القلب، والإله هو المحبوب لذاته قال تعالى {والذين آمنوا أشد حبا لله}.

وسائر المعاني الأخرى تدور على هذه السبعة، فتوحيد الله تعالى يكون بإفراده بما تضمنته هذه الكلمة من معاني (لا إله إلا الله) ، وبذلك تعلم كيف كان الرجل من الأعراب يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فيلقنه الشهادة فيخرج الأعرابي من عنده داعيا إلى قومة معلما لهم! لانه بسليقته العربية يفهم معنى هذه الكلمة وما تضمنته من وجوب إفراد الله تعالى بكل قول او عمل فيه نوع تأله، قال الإمام محمد في كتابه الجليل "كشف الشبهات" [والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم هو إفراد الله تعالى بالتعلق به والكفر بما يعبدون من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال لهم (قولوا: لا إله إلا الله) قالوا {أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب}، فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جمها الكفار بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير إعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله؛ فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بلا إله إلا الله].

(الإحسان "1" : أقل الكمال في للتوحيد)

1- [باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب]

بنية الباب :

بين المصنف في هذا الباب أن كمال ثواب التوحيد إنما يناله من أتى بالتوحيد على جهة الكمال، فمن نقص عن رتبة الكمال نقص له من الثواب بقدر إخلاله، ثم بين رحمه الله صفة أقل الكمال في التوحيد على النحو التالي :

1- **الآية:** وهي القاعدة العامة في كون كمال ثواب التوحيد خص به أناس لهم إيمان مخصوص بينت صفته النصوص -:
2- **الحديث الأول:** مفارقة أهل الباطل وإعتزال مناهجهم [وأن عيسى عبدالله ورسوله].
3- **الحديث الثاني:** إلتزام التوحيد بالقلب [يبتغي بذلك وجه الله].
4- **الحديث الثالث:** إلتزام التوحيد بالقول [أذكرك وأدعوك به].
5- **الحديث الرابع:** إلتزام التوحيد بالعمل [لا تشرك بي شيئا].

نكتة (1)/ [أقل الكمال في التوحيد: تحقيق الشهادتين] :-

إعلم رحمك الله أن أقل الإحسان في التوحيد (تحقيق معنى الشهادتين) وذلك بلزوم الأصلين :-

1- البراءة من الشرك وأهله، وهو مقتضى (لا إله إلا الله).
2- البراءة من البدع وأهلها، وهو مقتضى (محمد رسول الله).

فمن جاء بهاذين الأصلين فقد حقق من التوحيد أقل الكمال وبلغ أولى درجات [الولاية] ودخل في كل فضل جاءت به النصوص في أهلها، قال إبن القيم [فهذا ميزان عادل توزن به موافقة الرب ومخالفته وموالاته ومعاداته: فإذا رأينا شخصا يحب ما يكرهه الرب تعالى -الشرك والبدعة- ويكره ما يحبه -التوحيد والسنة- علمنا أن فيه من معاداته بحسب ذلك ، وإذا رأينا الشخص يحب ما يحبه الرب ويكره ما يكرهه ، وكلما كان الشيء أحب إلى الرب كان أحب إليه وآثره عنده ، وكلما كان أبغض إليه كان أبغض إليه وأبعد منه ، علمنا أن فيه من موالاة الرب بحسب ذلك، فتمسك بهذا الأصل في نفسك وفي غيرك ، فالولاية عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه ، وليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تمزق ولا رياضة] "الجواب الكافي"، قال الإمام مالك [لو أن العبد إرتكب الكبائر كلها بعد أن (لا يشرك بالله شيئا) ثم نجا من هذه (الأهواء) : لرجوت أن يكون في أعلى جنات الفردوس!؛ لأن كل كبيرة بين العبر وربه هو منها على رجاء، وكل هوى ليس هو منه على رجاء إنما يهوي بصاحبه في نار جهنم]" ذم الكلام وأهله" للهروي و "الجامع في عقائد أهل السنة" لعادل آل حمدان، قال إبن بطة [إجتاز بعض المحبين للبهبهاري ممن يحضر مجلسه من العوام وهو سكران على بدعي، فقال البدعي: "هؤلاء الحنبلية!" ، فرجع إليه وقال: الحنبلية على ثلاثة أصناف:-

- صنف زهاد يصومون ويصلون.
- وصنف يكتبون ويتفقهون.
- وصنف يصفعون كل مخالف مثلك.

وصفعه وأوجعه] "طبقات الحنابلة : 2/43" فهذا هو أقل الكمال في التوحيد وهي أولى درجات الولاية!.

ويجمع ذلك كله قوله تعالى {إياك نعبد وإياك نستعين}: فـ(فإياك نعبد) فيها البراءة من الشرك وأهله وموالاة التوحيد وأهله لقوله "نعبد" بصيغة الجمع، و(إياك نستعين) فيه البراءة من البدع وأهلها وموالاة السنة وأهلها لأنه أخبر أنهم في عبادتهم له لم يحدثوا شيئا من عند أنفسهم بل هم مستعينون في ذلك بوحيه -الكتاب والسنة-؛ قال إبن تيمية [جماع الدين أصلان:-

1- أن لا نعبد إلا الله.
2- ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع] "العبودية".

ولذلك قال رحمه الله [تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال الله العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة {إياك نعبد وإياك نستعين}] "مدارج السالكين : 1/79" لأنه سؤال لكمال التوحيد وبلوغ درجة الإحسان فيه.

ومن هنا ايضا كانت هذه الآية العظيمة شعار من سبقنا من أهل التوحيد (إخوان من طاع الله) رحمهم الله فقد كانوا يحدون بها قوافلهم في الغزو والسفر كما ذكر ذلك عنهم الدميجي في كتابه [صفحات مطوية من تاريخ الجزيرة العربية]**(2)**.

(2) ولهم تسجيل منشور على يوتيوب فيه طريقة حدائهم بها!

نكتة (2)/ [صفة ذكر أهل التوحيد (أذكرك وأدعوك به)] :-

إعلم رحمك الله أن حقيقة "الذكر" هي التذكر والتفكر: تذكر أسماء الله وصفاته، والتفكر في آثارها في الوجود -الشرع والقدر-.

قال إبن القيم [الطمأنينة إلى أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته نوعان: طمأنينة إلى الإيمان بها وإثباتها وإعتقادها، وطمأنينة إلى ما توجبه من آثار؛ وهذه طمأنينة إلى أحكام الصفات وموجباتها وآثارها في العالم، وهي قدر زائد على الطمأنينة بمجرد العلم بها وإعتقادها] "الروح".

والذكر له صفة كمال من جاء بها حصل له ثواب الذكر -الدنيوي والأخروي- على جهة الكمال، ومن أخل بها نقص له من الفضل بقدر إخلاله، وهذه الصفة بينها ربنا جل وعلا في قوله {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} وفيه :

- حقيقة الذكر : وأنه تذكر أسماء الله وصفاته من خلال ربطها بالواقع -الشرع والقدر- وتنزيلها عليه.
- مما يثمر الترقي في مراتب العلم {ربنا ما خلقت هذا باطلا}.
- والترقي في مراتب العمل: ومثل له بالدعاء الذي هو مخ العبادة {فقنا عذاب النار}.

وقد جمع ذلك كله قول موسى عليه السلام مبينا صفة ذكر الأنبياء [أذكرك وأدعوك به]!.

فذكر أهل السنة: قول وعلم -إعتقاد- وعمل، لا محض التلفظ باللسان كما هو إيمان المرجئة دون إعتقاد ولا عمل، وذلك يفتح لك نافذة لفهم كلام السلف في (غربة السنة) وقلة أهلها العاملين بها في زمانهم، وأن ذلك ليس من المبالغات كما قد يتوهم البعض، وأن "السنة" ليست مجرد معارف ذهنية و قواعد نظرية وإنما هي منهج عملي يدخل في كل صغير وكبير من أمور العبد الدينية والدنيوية.

فالذكر الشرعي هو : قول وعمل وحكمة، لا مجرد طلاسم تنطق باللسان فتؤتي ثمارها الدنيوية والأخروية بلا علم يستفاد منها ولا عمل بما فيها، وقد روى البيهقي عن بشر بن الحارث قال [لما رفع إبراهيم عليه السلام ليلقى في النار، عرض له جبريل فقال: يا إبراهيم هل لك من حاجة؟ قال: أما إليك فلا حاجتي إلى الله ربي] وفي البخاري عن إبن عباس [كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار (حسبنا الله ونعم الوكيل)] فلما إستوفاها عليه السلام قولا وعلما وعملا حصلت له ثمرتها على جهة الكمال {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ}.

فائدة جليلة: أعظم الذكر (لا إله إلا الله) فإن هذه الكلمة هي "أم الذكر" كما أن الفاتحة هي أم القرآن الجامعة لمعانيه، وذلك أن لا إله إلا الله تجمع معاني الأذكار كلها فما من ذكر إلا وعنها يصدر وإليها يرجع، وإليك بيان شيء من ذلك:-

قال عليه الصلاة والسلام [إن الله إصطفى من الكلام أربعا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر] الهيثمي.

1- فـ "التسبيح" : هو تنزيه الله تعالى عن كل نقص؛ وأعظم التسبيح تنزيه الله عن الشريك {سبحانه وتعالى عما يشركون} .
2- و "التحميد" : هو إثبات كل كمال له جل في علاه؛ وأعظم الحمد إثبات تفرده بالألوهية {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} .
3- و"التكبير" : هو نفي المكافئ والشبيه له في ذلك كله -إثبات الكمال ونفي النقص-؛ فأعظم التكبير الشهادة له بالتوحيد {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا}.

ومن هنا جاء في الحديث [مَن سَبَّحَ اللَّهَ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، وحَمِدَ اللَّهَ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، وكَبَّرَ اللَّهَ ثَلاثًا وثَلاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ، وقالَ: تَمامَ المِئَةِ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ وهو علَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطاياهُ وإنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ] رواه مسلم، فجعل (لا إله إلا الله) خاتمة الذكر التي تجمع معانيه.

4- أما "الإستغفار" : فإن التوحيد أعظم ما يكفر الذنوب قال الإمام محمد [باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب]، ومن هنا كان إستغفار الأنبياء {لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين} وفي الحديث [سَيِّدُ الِاسْتِغْفارِ: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي، لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ. إذا قالَ حِينَ يُمْسِي فَماتَ دَخَلَ الجَنَّةَ – أوْ: كانَ مِن أهْلِ الجَنَّةِ – وإذا قالَ حِينَ يُصْبِحُ فَماتَ مِن يَومِهِ مِثْلَهُ] البخاري.

هذا ولتعلم أن الذكر للتوحيد كالوقود للنار به يتعاظم في النفس ويشتد وبدونه يخبو ويضعف قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} وفي الحديث [إنَّ الإيمانَ لَيَخلَقُ في جوفِ أحدِكم كما يَخْلَقُ الثوبُ ، فاسألوا اللهَ أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم] وقال عليه الصلاة والسلام [مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت] رواه البخاري، وقد أثنى الله به على أوليائه فقال {فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}، وقال عن إبراهيم

عليه السلام {وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون} أي "لا إله إلا الله"، وقال {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ} و[كانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَذْكُرُ اللَّهَ علَى كُلِّ أحْيَانِهِ] مسلم، وقال {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا}، وفي ترجمة الإمام محمد بن عبدالوهاب [كان رحمه الله كثير الذكر لله قلما يفتر لسانه من قول : سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وكان إذا جلس الناس ينتظرونه يعلمون إقباله إليهم قبل أن يروه من كثرة لهجه بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير] "عنوان المجد لإبن بشر : 1/180".

(الإحسان "2" : أعلى الكمال في للتوحيد)

2- [باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب]

بنية الباب :

ذكر المصنف في هذا الباب ثلاثة نصوص تبين معنى (تحقيق التوحيد) الذي هو أعلى درجات الكمال فيه :-

1- **الآية الأولى:** وهي الأصل العام في إثبات تفاضل درجات الناس في تحقيق التوحيد.
2- **الآية الثانية:** في الركن الأول لتحقيق التوحيد (التخلية: التجرد من الشرك كله) وهو شق كلمة التوحيد الأول "لا إله".
3- **الحديث:** في الركن الثاني (التحلية: كمال العلم بالله) وهو شق كلمة التوحيد الثاني "إلا الله".

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب [من محمد بن عبد الوهاب، إلى ثنيان بن سعود، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، سألتم عن معنى قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ} ، وكونها نزلت بعد الهجرة، فهذا مصداق كلامي لكم مراراً عديدة أن الفهم الذي يقع في القلب غير فهم اللسان. وذلك أن هذه المسألة من أكثر ما يكون تكراراً عليكم، وهي التي بوب لها الباب الثاني في كتاب التوحيد. وذلك أن العلم لا يسمى علماً إلا إذا أثمر، وإن لم يثمر فهو جهل، كما قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ، وكما قال عن يعقوب: {وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ} والكلام في تقرير هذا ظاهر.

والعلم هو الذي يستلزم العمل، ومعلوم تفاضل الناس في الأعمال تفاضلاً لا ينضبط، وكل ذلك بسبب تفاضلهم في العلم؛ فيكفيك في هذا استدلال الصِّدِّيق على عمر في قصة أبي جندل، مع كونها من أشكل المسائل التي وقعت في الأولين والآخرين، شهادة أن محمداً رسول الله. وسر المسألة: العلم بلا إله إلا الله، ومن هذا قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}، فإن العلم بهذه الأصول الكبار يتفاضل فيه الأنبياء فضلاً عن غيرهم، ولما نهى نوح بنيه عن الشرك أمرهم بلا إله إلا الله؛ فليس هذا تكراراً، بل هذان أصلان مستقلان كبيران، وإن كانا متلازمين] "الرسائل الشخصية" .

نكتة (1) / [تجريد التوحيد (لا إله)] :-

إعلم عصمك الله أن مراتب الشرك ثلاثة كل منها ينقض مرتبة من مراتب التوحيد -الإسلام والإيمان والإحسان- أو يخل بكمالها، قال الشيخ عبدالله القرعاوي رحمه الله [ضد التوحيد الشرك وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي :-

1- النوع الأول من أنواع الشرك/ الشرك الأكبر: لا يغفره الله ولا يقبل معه عملا صالحا قال الله عز وجل {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}] "الواجبات المتحتمات"؛ وهو الذي ينقض (مرتبة الإسلام) ويخرج صاحبه من الملة.
2- [النوع الثاني من أنواع الشرك/ الشرك الأصغر: وهو الرياء] "الواجبات المتحتمات"، وهو كل قول أو عمل يخل بالشهادتين ولا يصل بصاحبه إلى الكفر وهو الذي ينقض (مرتبة الإيمان) أو يخل بكمالها ، وهو نوعان: ما يخل بـ"لا إله إلا الله" كالرياء ونحوه، وما يخل بـ"محمد رسول الله" وهي الأهواء البدع.
3- [النوع الثالث من أنواع الشرك/ شرك خفي: والدليل قوله صلى الله عليه وسلم (الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل) وكفارته قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم)] "الواجبات المتحتمات"، وهو كل ما لم يكن شركا صريحا ولكنه يفضي إليه أو فيه نقص أدب مع الله، وهذا النوع من الشرك هو الذي يخل بـ(مرتبة الإحسان).
ومنه "الإسترقاء" الذي هو طلب الرقية من الغير لأنه يفضي إلى تعلق القلب بالراقي، ومنه "الإكتواء" لأن فيه نقص أدب مع الله وفي الحديث [لا يحرق بالنار إلا رب النار]، فهذه الأفعال وإن لم تكن محرمة ولا يأثم صاحبها إلا أنها تنزل به عن أعلى درجات الكمال (الإحسان)، فتسميتها "شركا خفيا" من باب إنقاصها لكمال التوحيد فشابهت الشرك بذلك فأعطيت اسمه لا أنها في نفسها إثم ومعصية.

تنبيه: يطلق لفظ [الشرك الخفي] أحيانا ويراد به "الرياء" لكونه عملا باطنا لا يطلع عليه، وذلك جريا على قاعدة كثير من الألفاظ الشرعية (إذا إنفردت عمت وإذا إجتمعت خصت)، فلا تعارض بين الإستعمالين .

نكتة (2) / [أن تعبد الله كأنك تراه (إلا الله)] :-

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب [إعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربعة مسائل: الأولى/ العلم : وهو معرفة الله] "ثلاثة الأصول"، قال الإمام أحمد [ما إتخذ الله وليا جاهلا، لو إتخذه لعلمه]!.

والعلم بالتوحيد ثلاثة مراتب بينها ربنا جل وعلا في قوله {ما كان لبشر أن يؤتيه الله "الكتاب" و "الحكم" و"النبوة" ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله} :-

1- المرتبة الأولى/ علم النص: وهو معرفة أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة والإيمان بها بإثباتها لفظا ومعنى؛ وهي مرتبة الإسلام.
2- المرتبة الثانية/ علم الفكرة: وهو تنزيل هذه الأسماء والصفات على الواقع -الشرع والقدر- والتبصر بآثارها والفقه في أحكامها قال تعالى {وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين} قال إبن القيم [وقد سأل إبراهيم الخليل ربه أن يريه إحياء الموتى عيانا بعد علمه بقدرة الرب على ذلك ليزداد طمأنينة ويصير المعلوم غيبا شهادة، وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ليس المخبر كالمعاين)] "الداء والدواء: 51"؛ وهذه هي مرتبة الإيمان.
3- المرتبة الثالثة/ علم النفس: وهو ثمرة إستقرار علم "النص" و "الفكرة" في قلب العبد حتى تنصبغ به نفسه قال تعالى {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا إن الله لمع المحسنين}، وأهل هذه المرتبة صفات الله حاضرة في قلوبهم ماثلة بين أعينهم يتقلبون في نعيمها يعبدونه كأنهم يرونه جل جلاله؛ وهذه هي مرتبة الإحسان التي يكون القلب فيها كامل الحياة بإستشعاره حضور ربه على كل حال كما جاء في وصف نبينا عليه الصلاة والسلام [إن العين نائمة ولكن القلب يقظان] البخاري، وأهل الكتاب يجدون في كتابهم دعاء عيسى بن مريم للحواريين [اللهم أعطهم الحياة الأبدية: وهي أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك] "يوحنا: 17".

فائدة: أشرف العلم (العلم بالله) وهو داخل في العلوم كلها، ومن هنا لم يكن عند التحقيق تفاضل بين العلوم، بل كل ما عرف العبد بربه في كل علم فهو أشرفه، والناس يختلف إنتفاعهم بالعلوم بحسب ميل نفوسهم وإختلاف أطباعهم، وقد وزع الله

حججه على العلوم كلها ليعم النفع جميع بني آدم قال تعالى {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق}، فكل علم أورث صاحبه زيادة معرفة بالله ومحبه له وتعظيما فهو أشرف العلوم في حقه، فإن الله ضبط لنا العلم النافع فقال {إنما يخشى الله من عباده العلماء} فما كان من العلوم هذا أثره في نفس صاحبه فهو العلم النافع له، ومن فقه الإمام مالك في ذلك رسالته لعبدالله العمري العابد حين دعاه إلى إعتزال الناس والإشتغال بالعبادة فأجابه [إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاج؛ فنشر العلم من أعظم أعمال البر وقد رضيت بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه وأرجوا أن يكون كلانا على خير وبر] "سير أعلام النبلاء : 8/114".

نكتة (3) / [مراتب المحسنين] :-

إعلم رحمك الله أن أعلى الإحسان [أن تعبد الله كأنك تراه] البخاري، ولأهلها درجات أربعة "الصالح" و "الصديق" و "الشهيد" و "النبي"، وصفه أصحاب هذه المراتب الأربعة بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله [(الدين النصيحة قالوا: لمن؟ قال (لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم)] مسلم :-

1- **النصيحة لله:** بإسلام الخلق والتدبير والعبادة له وحده، وأن لا يغل القلب على شيء من ذلك، فإن من الناس من يغل قلبه على ربه في خلقه وتدبيره وهدايته لمن شاء وإضلاله كما يفعل المرجئة والخوارج، ومنهم من يغل قلبه على ربه في شرعه وأمره ونهيه كما هو حال الزنادقة والمنافقين، ومهم من يغل قلبه على ربه في أقداره كما هو حال ضعاف الإيمان، ومنهم من يغل قلبه على ربه في توحيده كما هو حال المشركين بمراتبهم الثلاثة -الأكبر والأصغر والخفي- .
فالنصح لله هو كمال توحيده في ألوهيته وربوبيته وأسماءه وصفاته، قيل لعيسى بن مريم عليه السلام [من الناصح لله؟ قال (الذي يبدأ بحق الله قبل حق الناس)] "الإخلاص لإبن أبي الدنيا"، وكان إخوان من طاع الله رحمهم الله إذا أرادوا تعظيم رجل أو مدحه قدموا بين يدي ذلك بالثناء على الله وتعظيمه أدبا معه جل في علاه فيقولون (الله ربنا وأنت أميرنا)]!.
2- النصيحة لكتابه: بتعظيمه والإحتكام إليه ورفعه على ما سواه والإقبال عليه تدبرا وعملا حتى يكون هو مرجع العلوم والأعمال كلها، وقد جاء في وصف نبينا صلى الله عليه وسلم [كان خلقه القرآن] بل قالت عنه أمنا عائشة رضي الله عنها [كأن وجهه ورقة مصحف]!، وكان السلف رضوان الله عليهم يتنافسون في إرجاع علومهم كلها إلى القرآن قال سفيان بن عيينة [لا تأتون بمثل مشهور للعرب إلا جئتكم به من القرآن، فقال قائل: فأين في القرآن (أعط أخاك تمرة فإن أبى فجمرة)؟ فقال في قوله {فمن عش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا}] "الفوائد لإبن القيم: 84".
3- **النصيحة لرسوله:** بإتباع سنته وإسلام القياد له محبة وتعظيما، وأن لا يغل القلب على شيء منها، ولذلك كان أهل البدع جميعا خارجون عن مرتبة الإحسان لان قلوبهم قد ملئت غلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ففارقوا سنته وأبغضها والله جل وعلا يقول {إن شانئك هو الأبتر}.
وأصحاب مرتبة الإحسان يتفاوتون في درجات كمال تحقيق الشهادة للرسول عليه الصلاة والسلام، فأجلهم تحقيقا لها -بعد النبي!- أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال الإمام محمد بن عبدالوهاب [ومعلوم تفاضل الناس في الأعمال تفاضلاً لا ينضبط، وكل ذلك بسبب تفاضلهم في العلم؛ فيكفيك في هذا استدلال الصِّدِّيق على عمر في قصة أبي جندل، مع كونها من أشكل المسائل التي وقعت في الأولين والآخرين، شهادة أن محمداً رسول الله] "الرسائل الشخصية".
4- **النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم:** والأئمة هم "العلماء" و "الأمراء" الذين بهم يحفظ الإسلام وأهله، والنصح لهم بحفظ جنابهم وبيان فضلهم والإقبال عليهم، وتبكيت الطاعنين في الإسلام وأهله المفارقين لهم في دينهم

وثقافتهم وعلومهم، قيل لسعيد بن المسيب [هاهنا قوم نساك يعيبون إنشاد الشعر؟ فقال (نسكوا نسكا أعجميا)]، وقال ميمون إبن مهران في صفة أهل الإحسان [إعلم أنه لا يكون منهم : متماوتا، ولا مبتدعا، ولا طعانا على الأئمة]، ولما رمى رجل بكتاب عند الإمام أحمد غضب وقال [هكذا يفعل بكلام الأبرار؟!] "كشاف القناع".

فبحسب كمال تحقيق العبد لهذه الخصال الأربعة على جهة التفصيل علما وعملا تكون درجته في كمال "الإحسان" : ففي (النصح لله) يرى حكمة الله وعدله ورحمته وسائر أسمائه وصفاته في كل من شرعه وقدره، وفي (النصح لكتابه) يرى فضله وعلوه وكونه حبل الله الممدود بينه وبين خلقه، وفي (النصح لرسوله) يرى عظم المرسل له المصطفيه على الخلق الرافع لذكره المعلي لشأنه المكمل خلقه وخلقه، و (النصح للأمة) يرى تفضيل الله لها وإصطفاءه إياها وتخييرها على سائر الأمم؛ فهو في ذلك كله ينظر متعبدا لله مستعينا به متعرفا عليه قال النهرجوري في وصف إبراهيم عليه السلام [كان ذهابه من الله وبالله وإلى الله، وذلك علامة التوحيد].

فائدة: للإمام الشافعي رحمه الله كلمة كاشفة عن كمال توحيده وتحقيقه لخصال الإحسان الأربعة وهي قوله [كل ما قالته الأمة -النصح للأئمة- راجع إلى السنة -النصح للرسول-، وكل مافي السنة راجع إلى الكتاب العزيز -النصح للكتاب-، وكل مافي الكتاب العزيز راجع إلى أسماء الله الحسنى -النصح لله-] "البرهان للزركشي" .. وهذا هو معنى (أن تعبد الله كأنك تراه)!.

(مرتبة الإيمان "1" : ما يخل بها -الشرك-)

3- [باب الخوف من الشرك]

بنية الباب :

ذكر المصنف في هذا الباب خمسة نصوص في بيان مراتب الشرك :-

1- **الآية الأولى :** وهي القاعدة العامة وهي أن الله لا يغفر الشرك إلا بالتوبة ويغفر ما دونه.

2- **الآية الثانية :** أن هذا الشرك منه ما هو أكبر ينقض التوحيد كله ويخرج صاحبه من الملة.
3- **الحديث الأول :** ومنه ما هو أصغر ينقص التوحيد ولا ينقضه.
4- **الحديث الثاني :** في مصير أهل الشرك الأكبر لقوله "ندا" .
5- **الحديث الثالث :** في مصير أهل الشرك الأصغر لقوله "شيئاً" .

قال إبن القيم [القصد من الخلق والأمر: أن يعرف الله بأسمائه وصفاته ويعبد وحده لا شريك له؛ فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر، وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له] "الداء والدواء: 158".

نكتة (1) / [مراتب الشرك] :-

إذا علمت أن التوحيد "أصل" و "كمال"، فإعلم أن للشرك معه أربعة أحوال :-

- الأول/ ما ينقص "كمال" التوحيد: وهو (الشرك الخفي)، وإخلاله بالتوحيد من باب نقص الأدب.
- الثاني/ ما ينقض "كمال" التوحيد: وهي (البدع)، وهي من الشرك: لإخلالها بكمال التحاكم -مقتضى لا إله إلا الله-، وكمال المتابعة -محمد رسول الله-، ولأنها ذريعة للشرك.
ومن هنا فإنها لا تغفر إلا بتوبة كما جاء في الحديث [إن الله إحتجر التوبة على صاحب البدعة حتى يرجع عنها]، وفي "فضائل رمضان" لأبي عبيد [يغفر الله في ليلة النصف من شعبان لكل عبد إلا مشرك أو مشاحن] قال الأوزاعي [المشاحن كل صاحب بدعة فارق عليها أمته] قال تعالى {إن شانئك هو الأبتر}**(٣)**.
- الثالث/ ما ينقص "أصل" التوحيد: وهو (الشرك الأصغر)، وهو الذي يخل بمرتبة الإيمان.
- الرابع/ ما ينقض "أصل" التوحيد: وهو (الشرك الأكبر) الذي يخرج صاحبه من الملة.

ومن ضبط هذه المراتب الأربعة للشرك إنضبطت له مسائل كتاب التوحيد كلها!.

(٣) إعلم أن [السنة] كالتوحيد "أصل" و"كمال"، ومراتب البدع معها أربعة:-

1- ما ينقص الكمال: وهو نقص الأدب كالبطنة ونحوها قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها [أول بدعة حدثت بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الشبع] "الجوع لإبن أبي الدنيا".
2- ما ينقض الكمال: كالنسك الأعجمي، وهجر النوافل.
3- ما ينقص الأصل: وهو موافقة أهل البدع في بعض المسائل الجزئية.
4- ما ينقض الأصل: وهو موافقة أهل البدع في أصول مذاهبهم، وصاحبه هو "المبتدع" الذي خرج عن دائرة أهل السنة والجماعة.

فائدة: يجد أهل الكتاب في كتابهم [أخذ إبنا هارون عليه السلام "نادب" و "بيهو" كل منهما جمرته وجعلا فيها نارا ووضعا عليها بخورا وقرباها أمام الرب نارا غريبة لم يأمرهما الله بها، فخرجت نارا من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب!] "سفر اللاويين" فهذان إبنا نبي أهلكتهما (البدعة) كما أهلك (الشرك) إمرأة نوح وإمرأة لوط.

نكتة (2) / [التوبة من الشرك] :-

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [يا أبا بكرٍ ، لَلشِّركُ فيكم أَخْفى من دبيبِ النَّملِ والذي نفسي بيدِه ، لَلشِّركُ أَخْفى من دَبيبِ النَّملِ ، ألا أدُلُّك على شيءٍ إذا فعلتَه ذهب عنكَ قليلُهُ و كثيرُهُ ؟ قل : (اللهم إني أعوذُ بك أن أشرِكَ بك و أنا أعلمُ ، و أستغفِرُك لما لا أَعلمُ)] أحمد والبخاري في الأدب المفرد، ومعلوم أن للتوبة شروط ثلاثة :-

1- الإقلاع عن الذنب.
2- الندم على ما فات.
3- العزم على عدم العودة إليه.

فمن داوم على هذا الذكر بشروطه فقد برئ من الشرك كما أخبر الصادق المصدوق وحقق بذلك (مرتبة الإيمان) ففي الحديث [ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: -وذكر منها- وأن يكره أن يعود للكفر كما يكره أن يقذف في النار] متفق عليه، أما مجرد النطق بالكلمات دون الإتيان بشروطها فإنه يذهب بثوابها أو ينقصه بحسب إخلال صاحبه.

والقصد أن هذا الذكر العظيم يذهب بقليل الشرك وكثيره عند من يقوله على جهة التوبة وتجديد التوحيد قال تعالى {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه} قال وهب إبن منبه [مكث آدم منكفئا رأسه بعدما هبط من الجنة مئة عام لا يرقأ له دمع ينادي: إلهي غرتني حواء وإستزلني إبليس وإستحوذ علي البلاء {وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين}، فنودي : يا آدم قد غفر لك!، فبكا بعد ذلك مئة عام إستحياءا من ربه] "الرقة والبكاء لإبن أبي الدنيا"، فالناس تتفاوت درجاتهم مع هذا الذكر وتطهيره لهم من قليل الشرك وكثيره بحسب صدق قلوبهم ومواطئتها ألسنتهم عليه وعملهم بما تضمنه من توبة.

ومن تأمل أذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات وجدها تدور على تجديد التوحيد والبراءة من الشرك -بمراتبه الأربعة- حتى اذا داوم العبد عليها وقبض بين ذلك قبض على التوحيد الخالص، وهذا من رحمة الله بهذه الأمة وفضله عليها.

(مرتبة الإيمان "2" : ما يخل بها -أهل الشرك-)

4- [باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله]

بنية الباب :

ذكر الإمام في هذا الباب آية وحديثين :-

1- **الآية:** وهي الأصل العام والمنهج القويم في الدعوة إلى الله والتعامل مع المخالفين.
2- **الحديث الأول:** في الدعوة باللسان.
3- **الحديث الثاني:** في الدعوة بالسنان.

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله [وأعلم أنه سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً}، وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون}.

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلمٍ وحُجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحاً تقابل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل {لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}، ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته، فلا تخف ولا تحزن {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} ، والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} ، فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح] "كشف الشبهات".

نكتة (1) / [الحكمة] :-

إعلم أرشدك الله أن المرء لا يكون على الجادة حتى :-

1- يعرف الحق -التوحيد والسنة- في نفسه أولا، فينظر في أصحابه فيواليهم في الدين.
2- يعرف الباطل -الشرك والبدعة- في نفسه أولا، ثم ينظر في أصحابه فيفارقهم في الدين.
3- ثم يعرف مراتب أهل الباطل فيعامل كل مرتبة: بما هي أهله، وبما يليق بحاله هو (وسورة التوبة اصل في هذا الباب) .

ويجمع ذلك كله قوله تعالى {إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين}، قال إبن القيم [إن الكمال الإنساني مداره على أصلين: معرفة الحق من الباطل، وإيثاره عليه.

وما تفاوتت منازل الخلق عند الله تعالى في الدنيا والآخرة إلا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الأمرين، وهما اللذان أثنى الله بهما سبحانه على أنبيائه بهما في قوله تعالى {واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار} فالأيدي : القوة في تنفيذ الحق ، والأبصار : البصائر في الدين فوصفهم بكمال إدراك الحق وكمال تنفيذه ، وانقسم الناس في هذا المقام أربعة أقسام :

- القسم الأول/ -أولي الأيدي والأبصار- : فهؤلاء أشرف الأقسام من الخلق وأكرمهم على الله تعالى .
- القسم الثاني : عكس هؤلاء ، من لا بصيرة له في الدين ، ولا قوة على تنفيذ الحق ، وهم أكثر هذا الخلق ، وهم الذين رؤيتهم قذى العيون وحمى الأرواح وسقم القلوب ، يضيقون الديار ويغلون الأسعار ، ولا يستفاد من صحبتهم إلا العار والشنار .
- القسم الثالث : من له بصيرة بالحق ومعرفة به ، لكنه ضعيف لا قوة له على تنفيذه ولا الدعوة إليه ، وهذا حال المؤمن الضعيف ، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله منه.
- القسم الرابع : من له قوة وهمة وعزيمة ، لكنه ضعيف البصيرة في الدين ، لا يكاد يميز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بل يحسب كل سوداء تمرة وكل بيضاء شحمة ، يحسب الورم شحما والدواء النافع سما .

وليس في هؤلاء من يصلح للإمامة في الدين ، ولا هو موضع لها سوى القسم الأول ، قال الله تعالى : {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون}] "الداء والدواء :93".

نكتة (2) / [القوة] :-

إعلم أتم الله عليك نعمته أن "القوة" هي موافقة الشرع والقدر!، فكلما كان العبد أشد موافقة لهما في المنشط والمكره والعزيمة والرخصة كان أكمل توحيدا وفي الحديث [إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه] وقال عليه الصلاة والسلام [إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا ان يتقنه]؛ فبكمال موافقة الشرع والقدر تكون منزلة العبد في قوة التوحيد قال أبو

حفص الحداد [من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال] "الإعتصام للشاطبي".

وقد فرق الشرع في أحكامه بين حال القوة والضعف فوضع لكل حال منهما ما يليق به حكمة من الله بالغة ورحمة سابغة، وفي الخلط بين أحكام الحالين إبطال لهذه الحكمة ورد لهذه الرحمة، قال الشاطبي [إن الله وضع الشريعة على أن تكون أهواء النفوس تابعة لمقصود الشرع] فالعبودية إنما تتحقق من العبد بتقديم مراد ربه على مراد نفسه، وذلك بأن يعرف: ما أمره الله به، في وقته، بحسب حاله؛ فلا ينقص منه ولا يزيد عليه ولا يتخذ إلهه هواه فإنه متى فعل وكل إلى نفسه ولم يؤول أمره إلى خير قال تعالى {ورهبانية إبتدعوها ما كتبناها عليهم فما رعوها حق رعايتها}.

فإذا فهمت ذلك تبين لك أن صورة (تحقيق التوحيد) تختلف بإختلاف أحوال العبد، وذلك بأن يلتزم بمراد الله منه -الشرعي والقدري- في كل حال من أحواله، ومن هنا كانت أولى خطوات العبد في طريق تحقيقه التوحيد أن يعرف منزلته في العلم والإيمان والقدرة و يعمل بأمر الله فيها، ثم يسعى بعد ذلك لما فوقها من الدرجات بتحصيل الأسباب الإيمانية والقدرية وعلى هذا المعنى يحمل قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام {أولم تؤمن قال بلى} أراد أن يبصره منزلته في التوحيد ليطلب بعدها ما هو أعلى منها.

فائدة: أشار الإمام محمد في "ثلاثة الأصول" إلى أن الفرق بين الرسول والنبي أن "النبي" هو الذي أوحي إليه ولم يؤمر التبليغ و "الرسول" هو الذي أوحي إليه وأمر بالتبليغ ، ومعلوم أن كلا من الأنبياء والرسل عليهم السلام هم أكمل الخلق توحيدا وتحقيقا لتمام العبودية بموافقتهم مراد الله في حالهم، ومن فقه الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أنه كان في مبتدأ دعوته إذا سمع الناس يدوعن زيد بن الخطاب رضي الله عنه من دون الله قال [الله خير من زيد!] "مجموعة التوحيد: 339" تمرينا لهم على نفي الشرك بلين الكلام مراعيا حاله وحالهم وذلك من كمال توحيده رحمه الله، وقد روى مسلم في صحيحه جواب النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين في تلبيتهم بقوله [قدٍ قدٍ] قال القرطبي [أي حسبكم التوحيد، ينهاهم عن الشرك] "المفهم".

قال الحسن البصري [لا يتم دين الرجل حتى يتم عقله] "العقل وفضله" فلا يُفرِط إفراط السفيه ولا يفرّط تفريط اللعاب بدينه.

والخلاصة أن "القوة" هي:

1- أن يملك المرء هواه فيجعله تبعا للشرع.
2- ويحصل من الأسباب الإيمانية والقدرية ما يحقق به مراد الله منه بحسب حاله قال عليه الصلاة والسلام [كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ؛ فَالإِمَامُ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ في أهْلِهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وهي مَسْؤُولَةٌ عن رَعِيَّتِهَا، والخَادِمُ في مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ] البخاري.

فكل باب من أبواب الحياة يحقق فيه العبد القوة الشرعية والقدرية فإن ذلك من كمال توحيده.

(مرتبة الإسلام : أصل الدين)

5- [باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله]

بنية الباب :

جعل المصنف رحمه الله هذا الباب هو خاتمة الأبواب التأصيلية، ولعظيم خطر هذا الباب -إذ هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم- فقد تولى الإمام محمد شرحه بنفسه دون سائر أبواب كتاب التوحيد.

وقد ذكر فيه أربع أيات وحديث واحد :-

1- **الأولى:** في شرك "العبادة" الذي ينقض (لا إله إلا الله).
2- **الثانية:** في شرك "الطاعة" الذي ينقض (محمد رسول الله).
3- **الثالثة:** في "الولاء والبراء" وأن المرء لا يكون موحدا حتى يبغض الشرك ويفارق أهله في الدين.
4- **الرابعة:** ولا يكفيه دون ذلك حبه لله ولدينه ولأهل التوحيد ما لم يبرأ من الشرك.
5- **الحديث:** بل ولا حتى إقراره بالتوحيد بلسانه دون البراءة من ضده.

نكتة (1) / [انواع الشرك الأكبر في باب الألوهية] :-

إعلم جنبك الله مقته أن الشرك في باب الألوهية لا يخرج عن كونه : شركا في "النسك" بعبادة غير الله، أو شركا في "الطاعة" بتبديل دين الله.

قال ربنا عز وجل في الحديث القدسي [إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فإجتالتهم عن دينهم: و(حرمت) عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن (يشركوا) بي ما لم أنزل به سلطانا] رواه مسلم.

وحين توعد إبليس بإغواء بني آدم قال {وَلَآمُرَنَّهُمْ (فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ) وَلَآمُرَنَّهُمْ (فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ) وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا} وتغيير خلق الله هو تبديل فطرة التوحيد {فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم}، وتبتيك آذان الأنعام هو تبديل الدين بالتحليل والتحريم لما لم يأذن به الله **(4)**.

وشرك المشركين في كل زمان لا يخرج عن ذلك: قال تعالى {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما **أشركنا** ولا آباؤنا ولا **حرمنا** من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا} {وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما **عبدنا** من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا **حرمنا** من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين}، وقال عن أهل مدين {قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما **يعبد** آباؤنا أو أن **نفعل في أموالنا ما نشاء**}، وقال عن دعوة يوسف عليه السلام لقومه {إن **الحكم** الا لله امر الا **تعبدوا** الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون}، وقال في شرك أهل الكتاب {اتخذوا **أحبارهم ورهبانهم** أربابا من دون الله **والمسيح ابن مريم** وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون}، وقال عن فتية الكهف مبينا شرك قومهم الذي إجتنبوه {مالهم من دونه من **ولي** ولا يشرك في **حكمه** أحدا}، وفي خبر قدوم وفد نجران على النبي صلى الله عليه وسلم [فلما كلمه الحبران قال لهما (أسلما)؟، قالا: أسلمنا!، قال (إنكما لم تسلما، فأسلما)، قالا: بلى قد أسلمنا قبلك!، قال (كذبتما، يمنعكما من الإسلام: دعواكم لله الولد، و**عبادتكم الصليب**، و**أكلكما الخنزير**] "الجواب الصحيح: 85" فذكر شركهم في الروبوية : دعواهم لله الولد، وشركهم في الألوهية : عبادتهم الصليب -نسك-، وأكلهم الخنزير -طاعة-.

وحين وفدت بعض قبائل اليمن على النبي صلى الله عليه وسلم بايعهم على [أن **لا يشركوا** بالله شيئا، وأن **يأكلوا** من قلب الذبيحة] لأنهم كانوا يحرمونه على أنفسهم.

(4) والمراد هنا (التبديل الإعتقادي) لا مجرد المخالفة بالعمل دون إعتقاد فإن ذلك معصية كما سيأتي تفصيله في أبواب شرك التحاكم.

نكتة (2) / [الإسلام الظاهر والإسلام الباطن] :-

إعلم فقهك الله في الدين أن الله فرق بين أحكام الدنيا والآخرة، فالدنيا مبناها على الظاهر فكل من أظهر الإنتساب للإسلام ولم يظهر منه ناقضا فهو المسلم ظاهرا له أحكام الإسلام في الدنيا وسريرته إلى الله قال عليه الصلاة والسلام [أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، ويُقِيمُوا الصَّلَاةَ، ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بحَقِّ الإسْلَامِ، وحِسَابُهُمْ علَى اللَّهِ] البخاري.

أما الآخرة فمبناها على الإسلام الحقيقي -الباطن- وهو الذي بينه المصنف في هذا الباب، وهو الذي جمع الشيخ عبدالرحمن بن حسن شروطه فقال [لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها:-

أحدها: العلم المنافي للجهل.

الثاني: اليقين المنافي للشك.

الثالث: القبول المنافي للرد.

الرابع: الانقياد المنافي للترك.

الخامس: الإخلاص المنافي للشرك.

السادس: الصدق المنافي للكذب.

السابع: المحبة المنافية لضدها] "فتح المجيد".

فهذه الشروط في الإنتفاع الأخروي بهذه الكلمة -إسلام الجَنة- قال تعالى {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} ، أما الإنتفاع الدنيوي -إسلام الجُنة- فإنه يكون بمجرد النطق بها مع السلامة من نواقضها فإن الله وصف شهادة المنافقين فقال {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} .

وبذلك ينتهي قسم (تأصيل التوحيد) وهو أول أقسام كتاب التوحيد الثلاثة، ويليه قسم (شرك التسبب) ثم قسم (شرك التعبد)، وهما مبنيان على قسم تأصيل التوحيد زياد تفصيل له وتمثيل على مسائله ولذلك قال المصنف رحمه الله في خاتمته :

[وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب] ..